مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع JALHSS
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences – JALHSS
www.jalhss.com ISSN: 2414 – 3383
العدد (4) آذار - مارس 2016

خُلق الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) واخلاقه في كتابات المستشرقين

أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جواد النوري
قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة بغداد
بغداد – العراق

الخلاصة

" ليس بين كبار رجال العالم رجل كثر شانئوه كمحمد" ، هذا ما فاه به المستشرق البريطاني مونتجومري وات ، وهذا هو محور بحثنا ، فقد ادهش خلق الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والرسالة التي بعث بها العالم الغربي كله ، فسعى جاهداً بدافع التعصب الى محاربة تلك الرسالة والنيل من المبشر بها ، وكانت المواجهة الفكرية واحدة من اقوى الاساليب التي اعتمدها في التأثير على عقول الناس ، من خلال قلب الحقائق والتشكيك في صحتها ، فلم يتخلى مؤلفيهم من عواطفهم ونزعاتهم المختلفة وهم يصدرون المئات من المؤلفات التي تناولت تاريخ الاسلام ونبيه الاكرم لا بقصد دراسة هذا التاريخ وتلك الشخصية بتجرد تام والتعمق فيها باعتبارها نظاما للحياة ، وانما بقصد الطعن فيه وتشويهه باختلاق الاباطيل ونسبها اليه. ان الاستشراق هو اهتمام علماء الغرب بكل ما يخص الشرق وهذا الاهتمام لم يكن اهتماماً عفوياً ، وانما هو اهتمام موجه ظهر بدوافع واغراض منذ قرون عدة وظل ينشط ويتجدد مع تجدد بواعثه واغراضه ويقف في مقدمة تلك الدوافع العامل الديني ، فمعظم المستشرقين هم من رجال الكهنوت المسيحي وهؤلاء وجدوا في الدين الاسلامي والفتوحات الاسلامية ايذاناً بأنهاء دورهم وزعامتهم الدينية فحاولوا جاهدين اقناع الناس في اوربا ان الاسلام دين لا يستحق الانتشار وان المسلمين قوم همج سفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي مركزين في ذلك على تشويه اخلاق المبشر بالدين الاسلامي الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) فاتهموه باتهامات باطلة ولم يسلم اسمه الشريف من تلك الاتهامات فحاولوا التشكيك في اسمه واثاروا الشبهات حول اخلاقه التي نزهه بها الله عن دون البشر اذ اكرمه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) ، واستكثروا عليه (صلى الله عليه واله وسلم) معجزة الوحي مع انهم اقروا بهذه لمعجزة لغيره من الانبياء ، ثم اتهموه بعدم الوفاء وسفكه للدماء ولا سيما مع يهود المدينة ، محاولين في ذلك اظهار اليهود بمظهر المظلوم المضطهد متناسين في ذلك العديد من الآيات الكريمة التي نزلت بحق اهل الكتاب التي تكذب مزاعمهم وترد على اسئلتهم التي حاولوا بها اظهار عجز الرسول عن الاجابة عليها ، كما اتهموه بتهمة ابشع وهي انه شهواني يحب النساء ولذلك خص لنفسه من الزوجات ما حرمها على بقية المسلمين ، فاصدروا عليه احكامهم بالظاهر من دون التعمق في الحكم والاسرار الكامنة وراء ذلك التعدد فلكل زواج كانت له اسبابه وظروفه الخاصة ، ثم ان زواجه المتعدد (صلى الله عليه واله وسلم) لم يكن في عنفوان شبابه وانما بعد ان بلغ الخمسين من عمره الشريف وهو السن الذي تضعف فيه الرغبة في النساء فضلاً عن ذلك فان النساء اللاتي تزوجهن لم يكن من البكر والصغيرات ما عدا السيدة عائشة ، فاغلب زوجاته (صلى الله عليه واله وسلم) كن من الثيبات والارامل فلو كان شهوانيا لتزوج من البكر والصغيرة .

Morality of the Prophet Muhammad (may Allah bless him and his family) and Manners in the Writings of Orientalists

Assist. Prof. Dr. Maitham A. Jawad Al-Nouri
History Department
College of Literature – Baghdad University
Baghdad - Iraq

ABSTRACT

The British Orientalist (Montgomery Watt) has said that "Not among men of the world much would a man like Muhammad", and this is the focus of the study. It is significance to mention that the Prophet Muhammad (peace be upon him) has sought to the fight against intolerance intellectually and this is one of the most methods adopted to influence the minds of the people through the facts and the evidence. In fact, the interest by the Prophet was religiously motivated and humanitarian concern and not a spontaneous interest. As well as, the prophet response on all the accusations that made against him by some of the Jews and Orientalists with scientific and realistic evidences. The Prophet also has treated rationally with those who have accused him without proof, like couples issue that had the special circumstances.

قبل ان نفصل في مزاعم المستشرقين في خلق الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) واخلاقه لا بد لنا من ان نوضح معنى الاستشراق ونشأته ودوافعه. فالاستشراق لغة مشتق من كلمة الشرق التي تعني مشرق الشمس ، وشرقت الشمس بمعنى طلعت ، واشرقت إذ أضاءت[1] . اما الاستشراق اصطلاحاً ، فقد تعددت في ايضاح معناه اراء المستشرقون والعلماء المسلمون الا انها جميعاً تصب في موضوع واحد وهو دراسة احوال الشرق ، وانه حركة قاصدة ترمي الى تطويق الشرق وجعله تابعاً في الثقافة والفكر والاجتماع والدين وحرفه عن جذوره الاصلية المستمدة من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة والتراث الديني والعلمي الذي وصل اليه الشرقيين عموماً والعرب خصوصاً[2]. والمستشرق هو كل من تبحر في لغات الشرق وادآبه[3] . ولم نجد في المصادر المتوفرة بين ايدينا اتفاقاً بين المؤرخين في تحديد بداية نشأة الاستشراق ، فقد تعددت ارائهم واختلفوا فيما بينهم ، فمنهم من يحدده بحقبة او عصر من العصور التي مر بها الشرق والعالم ، ومنهم من اعتمد على حوادث وغايات ارد الاستشراق الوصول اليها فجعلها هي البداية [4] .

ومهما كانت الآراء التي لا يتسع المجال لذكرها لتحديد بداية الاستشراق فانها دون شك مثلت مراحل التطور التي مر بها ، وعليه يمكن القول ان الاستشراق ظاهرة ارتبطت بالعلاقات التاريخية الحضارية بين الشرق والغرب منذ كان الصدام بينهما اثر الفتوحات العربية الاسلامية ، فبينما انتشر الاسلام بسرعة احس العالم المسيحي بالخطر ، وحين فشلت الحروب الصليبية ازداد الخوف من التيار الاسلامي ، فبدأ التفكير في وقف ذلك التيار والشروع في محاولات تشويه الاسلام والتشكيك فيه بتقديم صورة غير مرضية عنه ، والبدء في عملية التنصير [5] ، ومعنى ذلك ان الاستشراق ارتبط في بداية تكوينه بالكنيسة وبالحركة الصليبية عموماً اي ان دراسة المستشرقين للاسلام قامت في اول الامر بوحي من الكنيسة الكاثوليكية للانتقام من تعاليم الاسلام واهدار قيمه وتعاليمه حرصاً على مذهب الكثلكة من جانب وتعويضاً عن الهزائم الصليبية في تحرير بيت المقدس من جانب اخر [6] ، واعتبر المستشرقون الاوائل عملهم هذا نوع من الكفاح ضد العروبة والاسلام.

واول من بدء علم الاستشراق في الغرب الراهب الفرنسي جربرت اورالياك (938-1003م) فبعد ما تعلم في مدارس الاندلس ولا سيما في مدرستي اشبيلية وقرطبة رحل الى روما سنة 999م ، وما ان تسلم منصب البابويه فيها باسم البابا سلفستر الثاني حتى امر بانشاء مدرستين عربيتين ، واحدة منهما في ايطاليا والثانية في فرنسا موطنه [7] .
وبغية تشويه الفكر الاسلامي والاخلال بمسارته الصحيحة اصدر مجمع فينا سنة 1311م قرار يقضي بانشاء عدد من الكراسي للغات العربية والعبرانية والكلدانية في الجامعات الاوربية ومنها جامعة(باريس ، واكسفورد ، وبولونيا ، وافينيون وسلامنكا) ومعنى ذلك ان الاستشراق اصبح مدة علمية ذات طابع رسمي [8]،وان الاهتمام بالشرق وعلومه وحضارته صار محط انظار العالم الغربي كله .
وقد حظيت سيرة الرسول محمد (صلى لله عليه واله وسلم) بالاهتمام الاول في كتابات المستشرقين منذ العصور الوسطى وحتى العصر الحديث ، فقد تحامل الكثير منهم على سيرته العطرة (صلى الله عليه واله وسلم) ورموه باشنع الصفات التي يتنزه القلم عن ذكرها ، وقد اكد ذلك احدهم بقوله " ظل محمد زمناً طويلاً معروفاً في الغرب معرفة سيئة ، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة الا ونسبوها اليه " [9].
واول مستشرقي القرون الوسطى الذين اساءوا الى شخصية الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الراهب السوري يوحنا الدمشقي (676-749م) اذ حوى مصنفيه (حياة محمد) و (محاورة مع مسلم) اراء معيبة عن الاسلام[10] ، فالاسلام في نظره لم يكن سوى تأليف يهودي مسيحي لرجل اريوسي اسمه محمد وقد نجح في خداع قومه بعد ادعائه نزول الوحي عليه[11].
واستمر المؤلفون الذين جاءوا بعده على نفس نهجه في صياغة القصص والاساطير التي تحط من شانه (صلى الله عليه واله وسلم) فقد صوروه بانه اله يعبده الوثنيين – اي المسلمين – وبان كل مسجد للمسلمين يحتوي على وثن بصورة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، كما زعموا بان المسلمين وقبل كل هجوم يشنونه على الصليبيين كانوا يستشيرون وثناً يسمونه محمد [12].

ولم ينج من التشويه حتى اسمه (صلى الله عليه واله وسلم) فيذكر المستشرق البريطاني بودلي صاحب كتاب (حياة محمد الرسول) ان لفظتي (محمد) و(المحمدية) كانت من اكثر الالفاظ بغضا عند الاوربيين في العصور الوسطى وكانوا يعنون بها الاوثان وعبادتها [13].

ويشكك المستشرق النمساوي الاصل لويس اشبرنجر (1813-1893م) وهو من مستشرقي القرن التاسع عشر في اسمه (صلى الله عليه واله وسلم) فيقول " ان محمداً لم يكن الاسم الفعلي للنبي بل هو اسم اضافي اتخذه في المدينة ليطلقه على نفسه اقتداء بما يؤمن به اليهود صفة المسيا (النبي) المنتظر الذي وعد به الانبياء [14] ، وقد ايده في ذلك المستشرق الالماني نولدكه (1836-1930م)[15].

وبلغ بعضهم درجة من التعسف والتجني من مزعمه الى القول ان ما ورد في القران الكريم من ذكر لمحمد واحمد اضيف اليه فيما بعد [16] ، ومن المؤكد انهم في ذلك ينكرون اسم البارقليط الذي ورد في الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا، فالمقصود بالبارقليط هو النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) وليس شخص اخر .
ومن المواضيع المهمة التي اثارت اهتمام المستشرقين هو موضوع صدق النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ولا سيما فيما يتعلق بنبوئته (صلى الله عليه واله وسلم) ، فاغلب المستشرقين لا ينكرون ظاهرة الوحي لانبيائهم ولكنهم ينكرونها للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، فوصفوه بانه ساحر وخداع وشهواني وغيرها من الصفات الذميمة ، وان ما جاء به ما هو الا ابداع ذاتي ، او اشراق روحي او انجاز ادبي او املاء انساني [17] .
وقد تعددت ارائهم وتفسيراتهم حول تلك الظاهرة الخارقة لسنن الطبيعة ، وخلاصة ما ذكروه في تفسيرهم لظاهرة الوحي محاولين انكار حقيقته الالهية ذكرها المستشرق البريطاني مونتجومري وات[18] بقوله " ان محمد لم يكن يؤمن بما يوحي اليه ، وانه لم يتلق الوحي من مصدر خارجي عنه ، بل انه الف الايات عن قصد ثم اعلنها للناس بصورة خدع بها الناس وجعلهم يتبعونه ، فضمن لنفسه بذلك من السلطة ما يرضي طموحه وحبه للمتعة ".

ان انكار الوحي هو انكار لا يقبله العقل والمنطق ، وان الدليل على حقيقة الوحي الالهي ياتي من ادراك العلاقة ما بين امية لرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وما حمله القران من صور اعجازية لا تحصى ، فما ذكره المستشرقون من ان "محمد الف الايات عن قصد ثم اعلنها للناس " يعني انهم ينكرون على الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) اميته فهو في نظرهم شخص يعرف القراءة والكتابة ، وفي قوله سبحانه وتعالى (وما كنت تتلوا من قبله من كتب ولا تخطه بيمينك) [19] دليلاً قاطعاً على كذب مزاعمهم ، والتمعن الدقيق في كلمات تلك الاية الكريمة لا يترك مجالا للتأويل ، وفي تفسير تلك الاية يقول الله عز وجل لو كنت قبل ما يوحى اليك تقرأ الكتاب او تخطه بيمينك لشكوا بسبب ذلك في امرك وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب [20] .

يتضح من ذلك ان الله تبارك وتعالى اراد ان يدفع عن نبيه شبهة وضعه للقران، والامية التي خصها الله بها ما هي الا دليل لنبوئته ، لان ما حمله القران الكريم من بلاغة لغوية واحداث غيبية ، وتنبؤات مستقبلية فضلا عن كونه نظاما وشريعة للحياة جعل منه معجزة الهية يستحيل ان يأتي بها احداً من البشر مهما بلغ درجة من التفوق العلمي والعقلي ودليل ذلك ما جاء في قوله تعالى *(لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)*[21] ، وقد اعترفت بذلك الباحثة البريطانية جولي بقولها " اذا كان النظام القرأني للحياة يعزى الى رجل ولد في سنة 570 ميلادي ، فلا شك ان بمقدورنا في سنة 1954م ان نصل الى نظام افضل منه ، وبدأت البحث على هذا الاساس ولكني فشلت في كل مجال "[22].

وفضلاً عن ما ذكرنا فقد اعترف مجموعة من المستشرقين المنصفين بصدق الوحي وحقيقة بطلاً من قال غير ذلك فهذا مونتجومري وات يرد على ما ذكره اولئك المغرضين بقوله " ان النظر لمثل هذه الامور غير معقولة ، وذلك لانها لا تفسر لنا بصورة مرضية لماذا كان محمد في الفترة المكية ، مستعد لتحمل جميع صنوف الحرمان ، ولماذا فاز باحترام رجال شديدي الذكاء ذوي اخلاق مستقيمة.

كما ان ذلك لا يجعلنا نفهم كيف نجح في تأسيس ديانة عالمية انجبت رجالا قداستهم واضحة للعيان، لا يفسر كل ذلك بصورة مرضية الا اذا افترضت صدق محمد اي ان نعتقد بانه كان مقتنعاً حقاً بان القرار ليس ثمرة خياله ، بل ان كل ما نزل عليه كان من الله فهو بذلك حق " [23].

اما المستشرق (كاستري) فيقول " واما مسالة الوحي بالقران ، فكيف يأتي ان تصدر تلك السور والايات عن رجل امي ، ويعجز فكر بني الانسان عن الاتيان بمثلها لفظاً ومعنى "[24].
والصفة الاخرى التي حاول المستشرقون الصاقها بشخص الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) هو انه عديم الوفاء ، سفاك للدماء ولا سيما مع يهود المدينة ، فذهب بعض اولئك المستشرقون الى اظهار اليهود بمظهر المظلوم المضطهد من قبل الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) خاصة والمسلمين عامة ، فالمستشرق الامريكي جورج بوش(1769-1859م)[25] يزعم ان النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ظل يحث الى اخر لحظة في حياته على اضطهاد هؤلاء – يعني اليهود- اضهاداً لم يضطهده المسلمون لاي شعب اخر .

وعلى منوال بوش يقول المستشرق الالماني فلهاوزن (1844-1918م)[26] في نفس الموضوع " ... وحاول محمد ان يظهرهم بمظهر المعتدين الناكثين للعهد وفي غضون سنوات قليلة اخرج كل الجماعات اليهودية او قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة حيث كانوا يكونون جماعات متماسكة كالقبائل العربية ، وقد التمس لذلك اسباباً واهية ".

وقال الكثير غيرهما غير ذلك ، ولرد تلك المزاعم نقول ان علاقة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) باليهود بدأت بعد هجرته المباركة الى يثرب وقد دعاهم الى الدين الاسلامي بصفتهم اصحاب دعوة سماوية سابقة اذ بشرت كتبهم السماوية به وبرسالته إذ جاء في قوله تعالى (*الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورته والانجيل*) [27] ، وكان (صلى الله عليه واله وسلم) يأمل في دعوته لهم ان يصدقوه وينصروه اكثر من غيرهم ممن يعبدوا الاصنام ، لكنهم قابلوا تلك الدعوة بالاعراض والانكار [28] ، وحاولوا بكل السبل والوسائل التشكيك في نبوئته ، فطلبوا منه (صلى الله عليه واله وسلم) وشرطوا لتصديقه ان يأتيهم بكتاب من السماء ليقرؤه [29] فانزل الله سبحانه وتعالى قوله (*يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة*)[30] ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل انهم طلبوا منه (صلى الله عليه واله وسلم) ان يكلمهم الله فيسمعون كلامه [31] ، فانزل الله قوله تعالى (*وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشبهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون*)[32] ، وتمادوا اكثر في التشكيك بنبوئته فسألوه ان يخبرهم متى تقوم الساعة [33] ، فانزل الله تعالى فيهم قوله (*يسئلونك عن الساعة أيان مرسها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة يسئلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون*)[34] ولم يتوقفوا عن توجيه الاسئلتهم التعجيزية التي يلبسون فيها الحق بالباطل لشخصه (صلى الله عليه واله وسلم) والتي كان القران الكريم ينزل فيهم ما يسألون عنه ، ولما لم يجدوا عليه حجة عمدوا الى محاولة قتله فعهدوا الى لبيد بن الاعصم بايذائه بالمرض عن طريق السحر[35] ، وكذلك حاولوا القاء صخرة عليه من فوق جدار[36]، ورغم هذا كله لم يعاملهم الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بقسوة ولم يضطهدهم بل كان يواجه اذاهم بالصبر والتسامح ، لكن ازدياد هذا الاذى وتشكيله خطر على مستقبل الاسلام والمسلمين كان يتطلب موقفاً جديداً للتعامل معهم يقوم على اساس الشدة بدلاً من العفو والتسامح ، ولم يلجأ الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الى محاربتهم والايقاع بهم مباشرة وانما تدرج معهم في ذلك علهم يفيقوا ويردوا الى صوابهم فاتبع معهم (صلى الله عليه واله وسلم) اولاً اسلوب الانذار والتحذير[37] ، ورغبة منه (صلى الله عليه واله وسلم) في التعايش السلمي ارتبط مع القبائل اليهودية الثلاث (بني قينقاع ، بني النظير ، بني قريضة) باتفاقيات، بموجبها تعهدت تلك القبائل على " ان لا يعينوا عليه احداً ، ولا يتعرضوا لاحد من اصحابه بلسان ولا بيد ، ولا بسلاح ولا بكراع ، لافي السر ولا في العلانية ، لا بليل ولا بالنهار ، فان فعلوا ذلك فان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في حل من سفك دمائهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم ، واخذ اموالهم " [38] .

لم تجد تلك الاتفاقيات اذانا صاغية من قبل اليهود، فامعنوا في الاساء الى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ولم يترددوا في التعاون مع اعدائه من المنافقين والمشركين ، فيهود بني قينقاع كانوا اول نقضي ذلك العهد ، وعلى الرغم من تحذير الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لهم بالكف عن اذاهم للمسلمين ، الا انهم زادوا عناداً وتحدياً له فما كان منه (صلى الله عليه واله وسلم) الا ان يلجأ الى محاربتهم والتخلص من اذائهم ، فجاءت حادثة المرأة المسلمة التي اعتداء عليهم احد ابنائهم سبباً في جلائهم عن المدينة[39] .

اما نقض يهود بني النظير لعهدهم مع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فكانت مؤامرتهم على قتله (صلى الله عليه واله وسلم) بالقاء الصخرة على راسه من اعلى الجدار الذي كان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) جالساً الى جنبه ، فكان جزءه (صلى الله عليه واله وسلم) لهم على غدرهم ان اخراجهم من المدينة [40] .
اما القبيلة الثالثة وهم بنو قريضة ، فان نقضهم لعهدهم مع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وتامرهم مع جبهة الاحزاب في غزوة الخندق للقضاء الاسلام والمسلمين سبباً في ان يحاصرهم الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) خمسة وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب [41].
والاتهام والافتراء الاكثر شناعة الذي تناولته اقلام المستشرقين على شخص الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) محاولين بذلك تشويه سمعته الطاهرة واظهاره لاتباعه بمظهر لا يليق والرسالة النبوية الشريفه هو انه (صلى الله عليه واله وسلم) شهواني يبيح لنفسه تعدد الزوجات ، وباستثناء المستشرق البريطاني مونتجومري وات الذي عزى ذلك التعدد في زواجه (صلى الله عليه واله وسلم) الى اسباب سياسية[42] فان من حاولوا تشويه سمعته (صلى الله عليه واله وسلم) اغفلوا الاسباب الحقيقة لذلك التعدد واكتفوا بالحكم على الظواهر دون تعمق في الحكم والاسرار [43].

والواقع ان جميع من تزوج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)من النساء ودخل بهن أحدى عشر امرأة [44] ولم يكن ذلك الا بوحي الهي فجاء في الحديث الشريف عن ابي عيد الخدري (رضي الله عنه) قال : " قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي الا بوحي جاءني من جبريل عن ربي عز وجل "[45] .

وهذه الزيجات المتقاربة التي تمت في الحقبة المحصورة ما بين السنة الثالثة والسنة السابعة للهجرة ، في الوقت الذي تجاوز فيه الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) سن الخامسة والخمسين من عمره الشريف ، لم يكن بدافع الشهوة وحبه للنساء كما ادعى المستشرقون ، وانما كانت لاغراض تكريمية وتشريعية وسياسية واجتماعية ، فالغرض التشريعي من ذلك الزواج هو ايصال الاحكام الشرعية الخاصة بالنساء الى اكبر عدد ممكن من المسلمات ،[46] فالرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كان " اشد حياءً من العذراء في خدرها" [47] ، وكان (صلى الله عليه واله وسلم) يجد حرجاً في تبيين قسم من الاحكام الخاصة بالنساء ولا سيما الاحكام الخاصة بالغسل والطهارة والحيض فلا يستطيع (صلى الله عليه واله وسلم) تبليغها للنساء بصورة واضحة الا عن طريق نسائه ولاسيما ان الاحكام المتعلقة بالنساء متعددة الجوانب وان المرأة الواحدة لا تستطيع ان تقوم بتلك المهمة بل يتطلب تحقيق هذا الامر عدد من الزوجات [48].

والسبب السياسي الذي يكمن وراء ذلك التعدد في زوجاته (صلى الله عليه واله وسلم) هو ان ذلك الزواج كان سبباً في تغيير موقف القبائل المعادي للاسلام ، فمن تقاليد العرب المعروفة احترام المصاهرة التي هي باب من ابواب التقرب بين البطون المختلفة ، فكانوا يرون منأوة ومحاربة الاصهار سبة وعاراً على انفسهم[49] ، وزواج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من بنات زعماء القبائل كانت سبباً في انتشار الاسلام وخير دليل على ذلك هو زواجه (صلى الله عليه واله وسلم) من السيدة (جورية بنت الحارث) ، فقد كان الحارث بن ضرار زعيم بني المصطلق من المعادين للاسلام والمسلمين وكانت السيدة جورية قد وقعت اسيرة بيد المسلمين اثناء غزوة بني المصطلق ، وكانت قد ذهبت الى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) تستعينه على دفع ديتها ، فسالها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) عن ما هو خير من ذلك وهو زواجه منها ، فوافقت [50]، وبعد زواجه منها (صلى الله

عليه واله وسلم) اعتق المسلمون ما بايديهم من سبايا قومها اكراماً لمصاهرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولما راى بنو المصطلق هذا السمو والعفة اسلموا جميعاً [51]. وهذا يعني ان زواجه من السيدة جورية كان يقصد منه (صلى الله عليه واله وسلم) اسلام قومها ، وهذا السبب هو نفسه الذي دفعه الى الزواج من السيدة (صفية بنت حيي بن اخطب) ابنة زعيم يهود بني النظير [52] ومن السيدة (ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب) زعيم المشركين في مكة [53] .

والحكمة التشريعية من تعدد زوجات الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) انها كانت من اجل ابطال بدعة التبني ، والقضاء على هذه العادة السيئة ، اذ كان العرب قبل الاسلام يمتنعون عن الزواج بطليقة الابن بالتبني ، وزواجه (صلى الله عليه واله وسلم) من السيدة (زينب بنت جحش) بعد ان طلقها مولاه زيد بن حارثة [54]، وفي ذلك انزل الله سبحانه وتعالى قوله (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) [55] فهذا الزواج ما هو الا لاغراض تشريعية بحتة[56] ، ثم ان الحروب الجهادية التي خاضها المسلمون ضد المشركين والمنافقين واليهود تمخض عنها زوجات ارامل ذات ماضي مشرف في الدعوة والجهاد عانين من ضنك العيش وقساوة الحياة ولم يكن من المرؤة تركهن وشانهن ، فكان زواج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من بعضهن تكريماً لما لقينه من المعناة[57] ، ومن بينهن السيدة (سؤدة بنت زمعة) التي امنت بالاسلام في وقت مبكر وتحملت في سبيل المحافظة على اسلامها اضطهاد اهلها واضطرت مع زوجها الى الهجرة الى الحبشة وبعد عودتهما الى مكة مات عنها زوجها ، فتحرج موقفها اذ كان عليها الرجوع الى اهلها الذين ما زالوا على الشرك ، وهي امرأة كبيرة السن لا معيل لها ، فكان زواج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بها بدافع ايوائها واعالتها[58]، وهذا الدافع هو نفسه الذي دعاه (صلى الله عليه واله وسلم) الى الزواج من السيدة (زينب بنت خزيمة)[59] والسيدة (هند بنت ابي امية)[60] والسيدة (ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب)[61].

ومما يتقدم يتضح ان زيجات الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لم تكن بدافع الشهوة وحبه للنساء كما ذهب الى ذلك المستشرقون وانما هو امر الهي خصه به (صلى الله عليه واله وسلم) دون سائر المسلمين اذ جاء في قوله تعالى (*ياايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين*)[62] وكان اغراض ذلك الزواج واهدافه متعددة الجوانب منها تشريعية ومنها اجتماعية ومنها لتحقيق اغراض سياسية ، ثم ان زواجه المتعدد (صلى الله عليه واله وسلم) لم يكن في عنفون شبابه وانما بعد ان بلغ الخمسين من عمره الشريف وهو السن الذي تضعف فيه الرغبة في النساء فضلاً عن ذلك فان النساء اللاتي تزوجهن لم يكن من البكر والصغيرات ما عدا السيدة عائشة ، فاغلب زوجاته (صلى الله عليه واله وسلم) كن من الثيبات والارامل وهذا ما يفند مزاعم اولئك المستشرقين الظالين.

الهوامش

(1) ابن منظور ،ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ) ،لسان العرب ، ط3 ، (بيروت ، دار صادر ، 1993م) ،ج10 ، ص173 .
(2)العبيدي ، رشيد ، الحركة الاستشراقية مراميها واغرضها ، (بغداد ، مطبعة انوار دجلة ، 2003م) ، ص13.
(3) اربري ، أ،ج، المستشرقون البريطانيون ، ترجمة : محمد دسوقي ، (لندن ، 1946م) ، ص8 .
(4) السرحاني ، محمد بن سعد ، الاثر الاستشراقي في موقف محمد اركون من القران الكريم ، (د.م ، د.ت) ، ص4.
(5) البهي ، محمد ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ط6 ،(بيروت ، 1973م) ، ص532 .
(6) المصدر نفسه ، ص9 وما بعدها ؛ جريشه ، علي واخرون ، اساليب الغزو الفكري للإسلام ، (القاهرة ، 1977م) ، ص19 .

(7) الشرقاوي ، محمد عبد الله ، الاستشراق والغارة على الفكر الاسلامي ،(القاهرة ، دار الهداية ، د.ت) ، ص8 ؛ نادر ، البير نصري ، اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الاسلامي القديم ، مجلة الاستشراق ، العدد الاول ، 1987م ، ص106 .

(8) سعيد، ادوارد ، الاستشراق المعرفة والسلطة والانشاء ، ترجمة : كمال ابو ديب ، (بيروت ، موسسة الابحاث العربية ،1981م) ،ص46 ؛ السايح ، احمد عبد الرحيم ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الاسلامي ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ،1996م) ، ص24 .

(9) نقلاً عن : الفراجي ، عدنان علي ، الاستشراق والسيرة النبوية ، مجلة جامعة صدام للعلوم الاسلامية ، العدد الثالث ، (بغداد ، 1996م) ، ص129 .

(10) الساموك ، سعدون محمد ، الوجيز في علم الاستشراق ، (عمان ، دار المنهاج ، 2003م) ،ص21؛ فرج ، السيد احمد ، الاستشراق ، الذرائع ، النشأة ، المحتوى ، (الرياض ، دار طويق للنشر والتوزيع ، 1993م) ، ص47 .

(11) الشايب ، لخضر ، نبوة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في الفكر الاستشراقي المعاصر ، (الرياض ، مكتبة العبيدكان ، 2002م) ، ص39 .

(12) خودابخش ، صلاح الدين ، الحضارة الاسلامية ، ترجمة : علي حسن الخربوطلي ، بيروت ،1971م) ، ص44 .

(13) رونالد فكتور ، ترجمة : عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج ،(القاهرة ، 1964م) ، ص12 .

(14) نقلاً عن : علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط2 ،(جامعة بغداد ، 1993م) ، ج1، ص112 .

(15) ثيودور ، تاريخ القران ، تعديل : فريدريش شفالي ، ترجمة : جورج تامر واخرون ، ط4 ، كولونيا ، المانيا ومنشورات الجمل ، (بغداد ، 2008م) ، ج1 ، ص10 وهامشها .

(16) حمدان ، نذير ، الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في كتابات المستشرقين ، دعوة الحق،سلسلة شهرية ، مطبوعات رابطة العالم الاسلامي ، (د.م ،د.ت) ، ص105-106.

(17) محمد ، ادريس حامد ، اراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ، (د.م ، د.ت) ، ص19.

(18) محمد في المدينة ، ترجمة : شعبان بركات ، (بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، 1952م) ، ص495.

(19) سورة العنكبوت ، اية 48 .

(20) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (310هـ) ، جامع البيان في تفسير اي القران ، تحقيق : احمد شاكر ، (د.م ، مؤسسة الرسالة ، 2000م) ، ج2، ص50 .

(21) سورة الاسراء ، اية 88 .

(22) نقلاً عن : العباسي ، محفوظ ، الغرب نحو الدرب باقلام مفكريه ، (بغداد ، 1990م) ، ص107 .

(23) محمد في المدينة ، ص495 .

(24) نقلاً عن : العباسي ، الغرب نحو الدرب ، ص131.

(25) حياة محمد(صلى الله عليه واله وسلم) مؤسس الدين الاسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين ، ترجمة : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ،(الرياض ،دار المريخ للنشر ،2004م) ، ص317 .

(26) يوليوس ، تاريخ الدوية العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ط2 ، ترجمة وتعليق : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مراجعة : حسين مؤنس ، (القاهرة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، 1968م) ، ص16.

(27) سورة الاعراف ، اية 157 .

(28)ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري (ت218هـ) ، السيرة النبوية ،ط2،(القاهرة ،دار الفجر للتراث ،2004م) ،ج2، ص123.

(29) المصدر نفسه ، ج2 ، ص151.

(30) سورة النساء ، اية 153.

(31) ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج2 ،ص152.

(32) سورة البقرة ، اية 118.
(33) ابن هشام ، السيرة النبوية، ج2 ، ص170 .
(34)سورة الاعراف ، اية 187 .
(35) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج2 ، ص 165.
(36) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 114.
(37) العاملي ، جعفر مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الاعظم ، ط4 ، (بيروت ،1995م) ، ج6 ، ص34 .
(38) المصدر نفسه ، ج4 ، ص263 .
(39) للتفصيل عن ذلك ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج3 ، ص5-7 .
(40) للتفصيل عن ذلك ينظر : المصدر نفسه ، ج3 ،ص114-115 .
(41) للتفصيل عن ذلك ينظر : المصدر نفسه ، ج3 ،ص144-152.
(42) محمد في المدينة ، ص504 .
(43) لوقاياوي ، نبيل ، زوجات الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بين الحقيقة والافتراء ، (د.م ، د.ت) ، ص9.
(44) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج 4، ص208 .
(45) ابن جماعة ، عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم (ت767هـ) ، المختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، تحقيق : سامي مكي العاني ، (عمان ، 1993م) ، ص90 .
(46) النعمة ، ابراهيم ، الاسلام وتعدد الزوجات ، (الموصل ،مطبعة الجمهور ، د.ت)، ص67 .
(47) الصابوني ، محمد علي ، شبهات واباطيل حول تعدد زوجات الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، (د.م ، 1980م) ، ص12-15.
(48) النعمة ، الاسلام وتعدد الزوجات ، ص67 .
(49) الكبيسي ، فاضل محمد عواد ، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة دراسة نقدية ، (عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، 2005م) ، ص134.
(50)ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج4 ،ص206 .
(51) المصدر نفسه ،ج4 ،ص207 .
(52) المصدر نفسه ، ج3، ص222؛ ج4،ص207.
(53) النعمة ، الاسلام وتعدد الزوجات ،ص89 .
(54) الصواف ، محمد محمود ، زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن ، ط3 ، (القاهرة ،1979) ،ص55.
(55) سورة الاجزاب ، اية 37.
(56) الصواف ، زوجات النبي ،ص55.
(57)الكبيسي ، فيليب حتي ، ص133.
(58) للتفصيل ينظر : كحالة ، عمر رضا ، اعلام النساء ، (بيروت ، 1959م)، ج2 ،ص267-269 .
(59) للتفصيل ينظر : المصدر نفسه ، ج2 ، ص65.
(60) للتفصيل ينظر : المصدر نفسه ، ج5 ،ص221-227.
(61) للتفصيل ينظر : المصدر نفسه ،ج1 ،ص466-469 .
(62) سورة الاحزاب ، اية 50.

قائمة المصادر

القران الكريم
(1) اربري ، أ،ج، المستشرقون البريطانيون ، ترجمة : محمد دسوقي ، (لندن ، 1946م) .
(2) البهي ، محمد ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ط6، (بيروت ، 1973م) .
(3) بودلي ، رونالد فكتور ، حياة محمد الرسول ، ترجمة : عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج ، (القاهرة ، 1964م).
(4) بوش ، جورج ، حياة محمد(صلى الله عليه واله وسلم) مؤسس الدين الاسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين ، ترجمة : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ،(الرياض ،دار المريخ للنشر ،2004م).
(5) جريشه ، علي واخرون ، اساليب الغزو الفكري للاسلام ، (القاهرة ، 1977م).
(6) ابن جماعة ، عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم (ت767هـ) ، المختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، تحقيق : سامي مكي العاني ، (عمان ، 1993م).
(7) الساموك ، سعدون محمد ، الوجيز في علم الاستشراق ، (عمان ، دار المنهاج ، 2003م).
(8) السايح ، احمد عبد الرحيم ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الاسلامي ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ،1996م).
(9) السرحاني ، محمد بن سعد ، الاثر الاستشراقي في موقف محمد اركون من القران الكريم ، (د.م ، د.ت).
(10) سعيد ، ادوارد،الاستشراق المعرفة والسلطة والانشاء ، ترجمة : كمال ابو ديب ، (بيروت ، موسسة الابحاث العربية ،1981م).
(11) الشايب ، لخضر ، نبوة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في الفكر الاستشراقي المعاصر ، (الرياض ، مكتبة العبيدكان ، 2002م).
(12) الشرقاوي ، محمد عبد الله ، الاستشراق والغارة على الفكر الاسلامي ، (القاهرة ، دار الهداية ، د.ت).
(13) الصابوني ، محمد علي ، شبهات واباطيل حول تعدد زوجات الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، (د.م ، 1980م).
(14) الصواف ، محمد محمود ، زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن ، ط3 ، (القاهرة ،1979) .
(15) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (310هـ) ، جامع البيان في تفسير اي القران ، تحقيق : احمد شاكر ، (د.م ، مؤسسة الرسالة ، 2000م).
(16) العاملي ، جعفر مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الاعظم ، ط4 ، (بيروت ،1995م) .
(17) العباسي ، محفوظ ، الغرب نحو الدرب باقلام مفكريه ، (بغداد ، 1990م).
(18) العبيدي ،رشيد ،الحركة الاستشراقية مراميها واغرضها ،(بغداد ، مطبعة انوار دجلة، 2003م) .
(19) علي ، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط2،(جامعة بغداد ، 1993م) .
(20) فرج ، السيد احمد ، الاستشراق ، الذرائع ، النشأة ، المحتوى ، (الرياض ، دار طويق للنشر والتوزيع ، 1993م).
(21) فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدوية العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ط2 ، ترجمة وتعليق : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مراجعة : حسين مؤنس ، (القاهرة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، 1968م).
(22) الكبيسي ، فاضل محمد عواد ، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة دراسة نقدية ، (عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، 2005م).
(23) كحالة ، عمر رضا ، اعلام النساء ، (بيروت ، 1959م).
(24) لوقاياوي ، نبيل ، زوجات الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بين الحقيقة والافتراء ، (د.م ، د.ت).
(25) محمد ، ادريس حامد ، اراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ، (د.م ، د.ت).
(26) ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ) ، لسان العرب ، ط3 ، (بيروت ، دار صادر ، 1993م).
(27) النعمة ، ابراهيم ، الاسلام وتعدد الزوجات،(الموصل ،مطبعة الجمهور ،د.ت).
(28) نولدكه ، ثيودور ، تاريخ القران ، تعديل : فريدريش شفالي ، ترجمة : جورج تامر واخرون ، ط4 ، كولونيا ، المانيا ومنشورات الجمل ، (بغداد ، 2008م).

(29) ابن هشام ،ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري (ت218هـ) ، السيرة النبوية ،ط2،(القاهرة ،دار الفجر للتراث ،2004م).
(30) وات ، مونتجومري ، محمد في المدينة ، ترجمة : شعبان بركات ، (بيروت، منشورات المكتبة العصرية ، 1952م) .

المجلات والدوريات

(1) حمدان ، نذير، الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) في كتابات المستشرقين ، دعوة الحق ، سلسلة شهرية ، مطبوعات رابطة العالم الاسلامي ، (د.م ، د.ت).
(2)الفراجي ، عدنان علي ، الاستشراق والسيرة النبوية ، مجلة جامعة صدام للعلوم الاسلامية ، العدد الثالث ، (بغداد ، 1996م)
(3) نادر ، البير نصري ، اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الاسلامي القديم ، مجلة الاستشراق ، العدد الاول ، 1987م.